رأي القدس

تدنيس الجنود الالمان لجماجم المسلمين

■ تعيش المانيا حالة من القلق بعد بث احدى قنواتها التلفزيونية اشرطة لجنود المان يدنسون جماجم لقتلى افغان، ويتعاملون معها بصورة فاضحة.

الحكومة الالمانية طلبت من سفاراتها في الخارج تشديد الاجراءات الامنية تحسبا لاي اعمال انتقامية من قبل بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة، وامرت في الوقت نفسه باجراء تحقيق في هذه المسألة، ولكن الضرر قد وقع بالمانيا وسمعتها وصورة جنودها في مثل هذا الوقت الذي بدأت تخرج فيه من عزلتها وتتطلع الى دور اكبر في النزاعات الدولية.

تدنيس الجثث من الامور المحرمة في الثقافة الغربية، وقد احتجت الولايات المتحدة وبريطانيا بشدة ضد قناة «الجزيرة» الفضائية لانها نشرت لقطات جثث لجنود بريطانيين وامريكان انطلاقا من هذه الثقافة، ولكن يبدو ان تدنيس جثث الغير، والمسلمين وجماجمهم على وجه التحديد، ليس محرما، ولا تنطبق عليه معايير القيم الغربية، بدليل الصور التي نشرتها الصحف والمحطات التلفزيونية الالمانية لجنود «يضاجعون» جماجم لاموات مسلمين، واقدام القيادة العسكرية الامريكية في العراق على عرض جثتي نجلي صدام حسين، الشهيدين قصي وعدي، شبه عاريين امام الصحافيين بعد قتلهما.

خطورة هذه الافعال المقززة، وغير الاخلاقية، التي ارتكبها الجنود الالمان في افغانستان تنبع من توقيتها علاوة على فظاعتها، فقد جاءت في وقت تتصاعد فيه الحملات المعادية للاسلام في الغرب، وخاصة بعد ازمة الصور الكارتونية الدنماركية المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتصريحات الاستفزازية الاكثر اساءة للاسلام ونبيه التي وردت على لسان بابا الفاتيكان الالماني الجنسية، وادلى بها في جامعة المانية.

المانيا حظيت دائما بمكانة خاصة في قلوب العرب والمسلمين، لانها لم تستعمر ايا من دولهم، وكانت حليفة الدولة العثمانية الاسلامية في الحرب العالمية الاولى في مواجهة القوى الاستعمارية الفرنسية والبريطانية التي ارادت تقويضها من الداخل، وهزيمتها عسكريا، وتفكيك امبراطوريتها.

والاكثر من ذلك ان العرب والمسلمين اعتبروا المانيا دولة محتلة، تعرضت الى مجازر من قبل قوات الاحتلال الامريكي والبريطاني بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، ولذلك تعاطفوا معها دائما، ووضعوها في مكانة خاصة بالمقارنة مع الدول الاوروبية الاخرى.

الجنود الالمان الذين دنسوا جماجم المسلمين في افغانستان يرتكبون جريمة كبرى في حق بلدهم ومصالحها في العالم الاسلامي، حيث مليار ونصف المليار شخص بالاقدام على مثل هذه الاعمال غير الاخلاقية وغير المبررة، وفي اول مهمة لهم خارج بلادهم بعد وحدتها وتزايد تطلعاتها في لعب دور اكبر في السياسة الدولية.

صحيح ان مثل هذه التصرفات غير المسؤولة لم تثر ضجة كبرى في العالم الاسلامي على غرار ما حدث كرد فعل على الرسوم الكارتونية المسيئة او تصريحات البابا، ولكنها ستترك قطعا تشوهات كبيرة على صورة المانيا في اذهان المسلمين. وسبب عدم حدوث ردود فعل غاضبة يعود الى وصول المسلمين الى قناعة بانهم مستهدفون من الغرب ولم تعد تفاجئهم اي اساءات جديدة اولا، ولان قناعة تبلورت بان اعمال الاحتجاج هذه لا تعطي مفعولها المأمول.

الخطر يكمن في ان جماعات العنف والتطرف قد تستغل مثل هذه الاساءات في مرحلة لاحقة للاقدام على اعمال انتقامية، وعلينا ان نتذكر جيدا ان تنظيم القاعدة وحليفه تنظيم طالبان يعيدان تنظيم صفوفهما في افغانستان، حيث وقعت عملية التدنيس المذكورة.

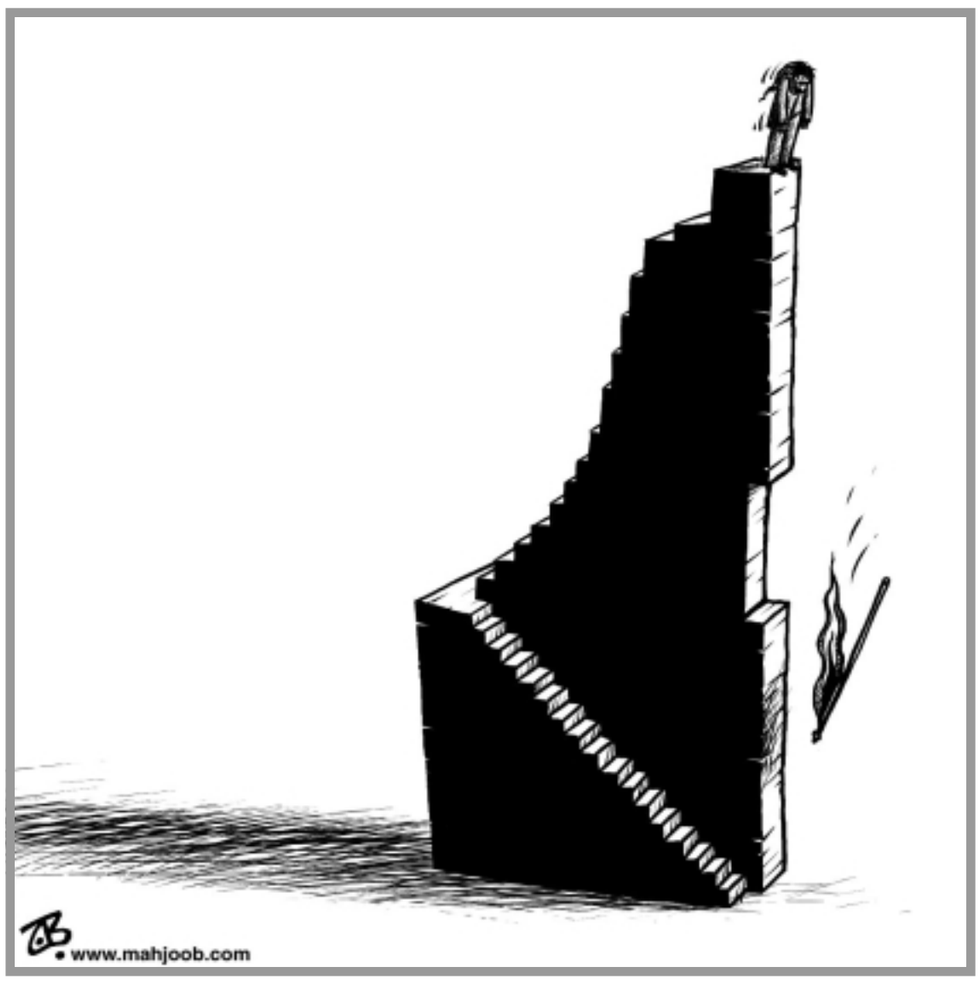

من مآثر الراحل الكبير الكاتب والمفكر القومي محمد عودة

فقدان مفكر بهذا الحجم خسارة كبيرة في زمن التراجع

محمد عبدالحكم دياب *

■ غيب الموت منذ أيام الكاتب والمفكر والمؤرخ والفنان والمحلل السياسي محمد عودة، ورغم توقع الرحيل في كل لحظة منذ أن دخل حالة الغيبوبة الكاملة إلا أن خبر الوفاة كان له وقع الصدمة على مسامع كل من عرفه واقترن به أو اقترب منه، ورحيل هذا العملاق الشامخ جاء في مرحلة نحتاج فيها جميعا إلى نوع خاص من البشر، يحفز ويهدي ويجدد الأمل في النفوس، وكان محمد عودة من هذا النوع، وكان نموذجا عابرا للأجيال والثقافات، ثاقب النظرة، موسوعي المعرفة، قل أن يجود به زمن، وكان أبا وأخا وصديقا.. ناصحا ومربدا.. عاشقا ونبيلا.. بدأ وعينا ونحن صغار يتفتح على عطائه وعطاء الرواد من أمثاله، فهمنا الحياة وأحببنا الوطن وآمنا بالشعب، وتطلعنا معه إلى التحرر والعدل والوحدة..كان أستاذا ومعلما، يشعرك بحنو الأب ومؤازرة الأخ ووفاء الصديق، دافئ المشاعر، هادئ الطباع، محب للحياة، كانت في عزمه صلابة الفولاذ، وفي روحه رقة النسيم، عندما زرناه في المستشفى في تموز (يوليو) الماضي، وجدناه جالسا على كرسيه المتحرك.. يرفض البقاء في غرفته، المطلة على النيل، الذي كان يعشقه، يترك هذا المشهد البديع ليكون وسط الناس، في مقهى مستشفى قصر العيني.

وقبل أن أحكي عن اللقاء الأخير، برفقة أخي العزيز أبو وليد.. عبد العظيم مناف، رئيس تحرير مجلة «الموقف العربي»، وجدت أن حق محمد عودة علي أن أنعيه بطريقتي، بأن أحكي عن سطور أتصورها قد خطها الزمن في كتاب حياته، وتركت بصماتها علينا.. فكتابه هذا اتسع لعشرات غيري، ممن نعرفهم وممن لا نعرفهم.. شبابا وشيبا، رجالا ونساء، مصريين وعربا وأجانب، وعن جيلنا فقد تعرف عليه في مراحل التكوين والتطلع والأفق المفتوح، بعد أن صار الزمام بيد من يخطون بعزم نحو الحرية والعدل والوحدة.. عرفه جيلي عن بعد، قبل أن يلقاه ويتعلم منه ويستمتع بجلساته ولقاءاته عن قرب، وكان جيلنا أسعد حظا من غيره، لأنه وجد أمامه ينابيع المعرفة العذبة.. تروي عطشه، وتزوده بما يساعد على اكتشاف النفس والوطن والأمة، وكان لمحمد عودة وضع متميز بكتاباته وآرائه، المنتشرة بين شباب وفتيات تلك الحقبة، من ستينات القرن الماضي، خاصة بعد نكسة 1967، كانوا مشدودين الى ما يقول ويكتب، وتحول لدى كثير منهم إلى مثل أعلى، بدأت العلاقة به سمعية ومقروءة.. وكانت مصدرا للثقة في الشعب والانحياز للفقراء، والدفاع عن حقهم في الحياة الكريمة، وتعبر عن ولاء شبه صوفي لثورة يوليو/ وقائدها العظيم جمال عبد الناصر، بما صنع لانتشال الشعب والأمة من وهدة الفقر والجهل والمرض. كنا نتابع عودة ونتتبع أخباره في كلمات وتعبيرات وعيون من كانوا يلتقون به ويتحلقون حوله، ويقرأون عليه أحدث الإصدارات بلغاتها الأصلية.. انكليزية أو فرنسية، وكان البعض منا يشفق على بعضهم من حالة الوله والانبهار به، ومن الأمور، التي قد لا يعلمها رحمه الله، أن طالبات جامعيات، ممن اتخذن منه أبا ورائدا وأستاذا لم يكن يتصورن الحياة بدونه، وأذكر هذا لتأكيد شخصيته الآسرة للعقول والأفئدة، وقدرته على تفجير أعظم ما في الإنسان من طاقة للخير وأفضل ما فيه من قدرة على العطاء.

وبعد معرفة السماع والقراءة والحوار، الذي كان بعضه على صفحات الصحف، جاءت المعرفة عن قرب.. وكان كلما مر على العاصمة البريطانية يسعى للقاء مريديه وأصدقائه وتلاميذه، وكنا نسعد كثيرا لأننا موضوعون دائما على قائمته، وفي مرة وجدته عاتبا، فسألته عن السبب فحكى أنه كان في زيارة للمرحوم الكاتب الصحافي فيليب جلاب في بيته، ووجد لوحة نحاسية معلقة لعبد الناصر، وعندما سأله عن مصدرها قال له انها مهداة مني.. وكيف لا يكون لديه مثلها.. قلت وهل تتصور أن هذا غاب عني، وأحضرتها له في اليوم التالي. وحين التقينا في فترة الإعداد لإصدار صحيفة «العربي» الناصرية.. كان يرى أن تفرد الصحيفة الجديدة حيزا لمتابعة تجارب الشعوب والدول والأحزاب الأجنبية، للاستفادة منها في تطوير ما يجري في مصر والوطن العربي، وكان يرى أنني أستطيع، من لندن، أن أقوم بهذه المهمة، وأمثل جسرا ينقل هذا إلى قارئ «العربي»، ولم أرد أن أقلل من حماسته لأن مثل هذه المهمة ما كانت تقبل، في ذلك الوقت، فقد كنت أعرف أن أصحاب القرار في الصحف المصرية، وعددا من الأصدقاء والزملاء قد تأثر، إلى حد بعيد، بالرأي الأمني، وبما أشيع، أيام السادات، وأذاعته أجهزته ونشرته صحفه، ويقول بأن النقد الذي وجهته للسادات، ومن بعده مبارك، يقع تحت طائلة العقوبة، والتهمة «إن دول بيشتموا مصر»!!. وأذكر أن زميلا وصديقا وفد للإقامة والعمل في بريطانيا وجه إلي اللوم.. كيف لا أكتب ولا أرسل «العربي»، وصارحته بما لم أصارح به الراحل الكبير، فلم يصدق، ولما زاد إلحاحه، قلت له «المية تكدب الغطاس» وأرسلت عن طريقه موضوعا للنشر، ولما لم ينشر التمس لأصحاب القرار في الصحيفة العذر، فأعطيته موضوعا آخر، ولم ينشر كذلك.. بعدها قلت له ما رأيك؟ قال أصبت، وبعدها لم يفاتحني في الموضوع مرة أخرى.. لم يكن لدى الراحل العظيم حسابات أصحاب القرار في الصحف المصرية، سواء كانت موالية أو معارضة!!

وما أشار إليه محمد عودة عن تجارب وانجازات الآخرين استمر يرن في أذني، إلى أن سألت نفسي إذا كان رحمه الله معنيا بالتعرف على ما يدور في العالم، والاستفادة مما لدى الآخرين من تجارب وانجازات، وبالقطع كان ذلك وراء ما كتب عن تجربة الصين الشعبية، بعد اعتراف مصر بها في منتصف الخمسينات، وما كتب عن الهند، كمعايش لتجربتها عندما كان يعمل بالقسم العربي بالإذاعة الهندية، ومن خلال هذه التجارب وغيرها كان سعيه للمعرفة والاحتكاك كحافز للتقدم ومواجهة التخلف في بلادنا. وقلت بيني وبين نفسي لماذا غاب هذا الذي نادى به عودة عن وزراء ومسؤولي عصر «الانفتاح»؟ ألم يتخرج كثير منهم من جامعات بريطانيا وأمريكا وفرنسا وكندا، وعاشوا في الغرب لسنوات؟، لماذا لم يستفيدوا مما تعلموه واطلعوا عليه في تلك البلاد؟ ولماذا لم يتبن واحد منهم حلا غير تقليدي لمشاكلنا العديدة، مستفيدا مما شاهد وخبر وهو في بعثته أو عمله الخارجي.. فـ«رب» النقل و«رب» الإسكان، وباقي «الأرباب»، لا يرون ضرورة لحل المشاكل المستعصية، ولا حقا للمواطن، كما لنظرائه في البلدان الأخرى، في مواصلات عامة مريحة وسليمة، ومسكن غير عشوائي يؤويه، فما دام «الأرباب» يتحركون داخل السيارات الفارهة المكيفة والمدرعة، ويعيشون داخل «القصور والقلاع والمستوطنات المحصنة، لا يرون أحدا ولا يراهم أحد، فليذهب الشعب إلى الجحيم.. ما شأنهم وعذاباته ومعاناته في مواصلات ومساكن «عشوائية»، تتوزع في علب معدنية صدئة، ومساكن أشبه بالمقابر والجحور، في مناطق على هوامش المدن والعواصم.. مواصلات متهالكة، ومساكن أشبه بالمدافن، والضحايا تجاوزوا ما فقد في الحروب مع العدو.

ماذا كان يضير الوزراء والمسؤولين، الذين عاشوا واحتكوا بتجارب وإنجازات الشعوب الأخرى لو استفادوا مما رأوه وعايشوه، لمواجهة مشاكل النقل والمواصلات والسكن؟. لقد أعادت بريطانيا الترام لبعض المدن والأحياء، ولماذا لا تخرج مركبات الترام المهملة في المخازن لحل غير «عشوائي» لأزمة المواصلات والسكن في المجتمعات العمرانية الجديدة؟. وأذكر أنه في وقت كان «الترولي باص» مصدرا للمشاكل في القاهرة المزدحمة.

زرت الاتحاد السوفييتي السابق، ووجدتهم هناك يستخدمونه خارج المدن، على الطرق الفسيحة، العابرة للمدن، أليس من الممكن أن يكون الوسيلة الأفضل والأرخص والأنظف في المدن الجديدة، وعلى الطرق الفسيحة، بطاقته النظيفة والرخيصة واستيعابه لأعداد أكبر من الركاب. هكذا كانت توحي آراء وأفكار محمد عودة، ولو استعار بعض مسؤولينا بعضا من تفكيره البناء لعشنا في بلد يرتاح فيه الحاكم والمحكوم، ويرتقي فقراؤه ويرتفع مستواهم، ويصبح المسؤول جزءا من الحل، بدل أن يكون سببا وأساسا للمشكلة.

ونعود إلى زيارته في المستشفى، وكان المرض قد تمكن منه ووصل إلى مراحله المتأخرة، كنت أشعر أنها المرة الأخيرة التي أراه فيها.. سعينا إليه، وجدناه، بصحبة زوجته، على كرسيه المتحرك، شاحب الوجه، ومرتخي الجفون، واهن القوة، مرتعش الأطراف، ونظر إلى الأستاذ عبد العظيم مناف وطلب ورقة وقلما ليسجل حواره معنا، كما اعتاد، وجاءت الورقة والقلم، وبدأ يسأل عن أحوال السياسة في الغرب، ومأزقه في العراق، لم تقو يده على التدوين.. كانت أضعف من أن تقبض على القلم، وأقل من أن تتحكم في ضبط الورقة، وكانت كلماته التي كانت تخرج بصعوبة تشع أملا في مستقبل الأمة، الذي تصنعه المقاومة.. أليس هو الذي كتب عن ثورات القاهرة الكبرى ضد حملة نابليون؟ ألم يساهم في رد الاعتبار إلى أحمد عرابي وثورته؟ ألم يعش مقاومة المصريين ومعهم أشقاؤهم العرب للعدوان الثلاثي سنة 1956؟ ألم يقف في صف الصمود بعد 1967؟.. أليس هو الذي تطلع إلى المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان لإعادة صياغة الأمة من جديد.

سرح الذهن، ونحن نجلس في محرابه، إلى يوم زيارة مماثلة للمجاهد الكبير فتحي رضوان، في أيامه الأخيرة، في مشفاه اللندني، لم يقو أي منا، عبد الباري عطوان وبكر عويضة وأنا على رؤية عينه وهي تدمع تعقيبا على كلمات قلناها تعبيرا عن تقديرنا له ولدوره، قلنا انه معلم أخذ بأيدي أجيال وهداهم إلى طريق الوطنية والكفاح والمقاومة، تطلع إلى كريمته، التي كانت تقف خلفه، وهو يتكلم بصعوبة بفعل الشلل: «مش قلت لك إن ما فيش شيء يذهب هباء» وطفرت من عينه دمعة، انفطرت لها القلوب، وهكذا كان اللقاء الأخير مع الرائد والأب والأخ والمعلم والفيلسوف محمد عودة، تركناه على وعد بالعودة مساء، فقد كان يومها عيد ميلاده السادس والثمانين، إلا أنني لم أقو على العودة، وقلت ان الله سوف يسامحني. فقد كان صعبا أن أراه مهزوما أمام ملك الموت القادم بلا استئذان، لكنها سنة الله، فله بحجم ما أعطى، وبقدر ما وفى وكفى لمبادئه ووطنه، والدعاء له بالرحمة لأهله ومحبيه وتلاميذه ومريديه بالصبر، فقد فقدوا، جميعا، برحيله أبا ومعلما وأخا وصديقا عزيزا، كان أهم ما فيه تجسيده للإنسان ومعنى الإنسانية.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

أقنعة الاحتلال الامريكي المتعددة في العراق

هيفاء زنكنة *

■ للاحتلال وجه واحد لكنه يرتدي أقنعة متعددة. الاول، الاكثر وضوحا، هو الاحتلال العسكري المباشر. والثاني هو الاقتصادي الذي يربط البلد بقيود العبودية الخانقة على مدى عشرات السنين. والثالث هو الاحتلال المستهدف لبنية المجتمع وهويته. وتحت النوع الثالث يمكن تصنيف عمل معظم مؤسسات الاحتلال الامريكي – الصهيوني المنتشرة في العراق، حاليا، اما بشكل مباشر او غير مباشر لتكريس السياسة الامريكية في المجالات التعليمية والفكرية والمجتمعية.

ان واحدة من أهم المؤسسات الامريكية ـ الصهيونية (غير الحكومية) الناشطة في العراق المحتل هي مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات. وهي تعمل اما بطريق مباشر كالاشراف على عقد المؤتمرات وحلقات الدراسة والترويج لفكر الاحتلال وسياسته او غير مباشر من خلال توفير الدعم، باشكاله المختلفة، للعديد من منظمات المجتمع المدني، خاصة النسوية، والمنظمات المدافعة عن (حقوق الاقليات) ومراكز البحوث والدراسات (الديمقراطية) واجهزة الاعلام. وقد تشكلت المؤسسة في بداية عام 2001، في واشنطن، باسم (أميت: مبادرة تعليمية) من قبل عدد من الملياردريات الصهاينة ادركوا بان شرائح من المجتمع الامريكي، خاصة في مجالي الاعلام والجامعات، باتت تميل نحو تأييد الشعب الفلسطيني وان اسرائيل عاجزة عن الدفاع عن نفسها خاصة اثناء مواجهتها للانتفاضة الفلسطينية.

وقد تم تغيير الاسم بعد الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وان بقي جوهر العمل والولاء الصهيوني المحافظ الجديد هو ذاته. وتبلغ ميزانية المؤسسة 3 ملايين دولار سنويا تحصل عليها كهبات من 27 ملياردير امعظمهم من اليهود، يطلقون على انفسهم اسم (الحلقة الدراسية) ويجتمعون مرتين في السنة للتداول في اقامة مشاريع مشتركة. وحسب المحرر المعروف جفري بلانكفورد في تقريره عن المؤسسة في 2006/3/16: (انها واحدة من اقوى منظمات اللوبي الصهيوني واكثرها تأثيرا في امريكا. تضم بين مجلس ادارتها اسماء معروفة بمناصرتها للصهيونية وبينهم المحافظون الجدد. وهي مؤثرة اعلاميا حيث تعتبر مصدرا لسبعة مقالات يومية في الصحف واسعة الانتشار. وقد اختار بوش هذه المؤسسة مكانا لالقائه اول خطاب يدافع فيه عن سياسته في العراق. انها منظمة سياسية صهيونية فاعلة).

وتفتخر المؤسسة في موقعها الالكتروني بانها المنظمة (غير الحكومية) الوحيدة التي ارسلت فريقا من المحامين الى محكمة العدل الدولية للدفاع عن حق اسرائيل في بناء الجدار العنصري.

يترأس مجلس ادارة المؤسسة جين كيركباتريك، سفيرة امريكا للامم المتحدة سابقا، والملياردير ستيف فوربس، ومن بين مستشاريها من المحافظين الجدد نيوت غنغريتش الناطق الجمهوري باسم الكونغرس سابقا وويليام كريستول وريتشارد بيرل وجيمس ووسلي رئيس المخابرات الامريكية السابق. اما رئيس المؤسسة فهو كليفورد ماي الذي كان رئيس الاعلام والاتصالات للجنة الوطنية الجمهورية والمعروف بعلاقاته الاخطبوطية في مجال الاعلام والصحافة.

وقد لعبت المؤسسة الصهيونية دورا كبيرا في الفترة السابقة لشن الحرب على العراق، لتسويق الحرب بحجة التخلص من اسلحة الدمار الشامل، ونشرت العديد من المقالات و(الدراسات) المفبركة عن علاقة النظام السابق بالقاعدة وبتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر وخطر النظام الحاكم على امريكا والعالم. وتشغل العراقية تانيا كلي، العضو المؤسس لمنظمة نساء من اجل عراق حر، الناشطة لترويج الحرب، منصب مديرة برنامج الديمقراطية في المؤسسة.

تهدف المؤسسة الى الفوز بالحرب الفكرية ضد (الارهاب العالمي) من خلال الاعلام الجماهيري وعبر كل القنوات الاعلامية المتوفرة. من بين القنوات التلفزيونية التي تتعامل معها قناة (الحرة) والتي حضر برنامجها الاول الموجه الى الشرق الاوسط، شخصان فقط هما بوش ومدير المؤسسة كلفورد ماي. ولا يقتصر عمل المؤسسة على العراق فقط بل يتعداه الى بث (الديمقراطية) في بلدان الشرق الاوسط كلها وتعنى خاصة بمهاجمة مقاومي الاحتلال الصهيوني. العمل الثاني للمؤسسة هو تأسيس شبكة من المنظمات الحليفة التي (تهدف، جميعا، الى تحقيق مبادئ المؤسسة نفسها وان كانت تعمل تحت اسم مختلف)، حسب برنامجها.

وتحت هذا البند تفتخر المؤسسة بدورها قبل الغزو وبعده في تأسيس منظمات المجتمع المدني العراقية او العراقية ـ الامريكية او تكريس الدعم المادي السخي لما هو موجود ويتماشى مع سياستها. فقد قامت المؤسسة، قبل الغزو بشهر، بتأسيس المنظمة النسوية (نساء من اجل عراق حر) برئاسة وعضوية 50 عراقية، من بينهن: صفية السهيل (عضوة البرلمان حاليا) ورند رحيم فرانكي (سفيرة العراق لدى امريكا سابقا) وزكية اسماعيل حقي وتانيا كلي وكاترين ميخائيل وآلاء الطالباني وزينب السويج. وقامت المؤسسة بتشكيل منظمة (الائتلاف الامريكي ـ العراقي للحرية) بعد الاحتلال وذلك لنقل (قصص النجاحات الامريكية في العراق الى الشعب الامريكي). كما قامت 19 امرأة من عضوات نساء من اجل عراق حر بتأسيس منظمة التحالف النسوي من اجل عراق حر (وافدي) الناشطة في العراق تحت غطاء الدفاع عن حقوق المرأة.

وقد عملت المؤسسة مع زينب السويج، مديرة ومؤسسة الكونغرس الامريكي الاسلامي، ومع المنظمة النسائية اليمينية منتدى المرأة المستقلة ذات العلاقة الوطيدة بزوجة ديك تشيني، لتأسيس (مؤسسة المرأة العراقية التعليمية) التي حصلت على عدد من العقود في مجال التعليم وتغيير المناهج الدراسية. كما حصلت السويج باسم منظمتها على منحة مادية من الادارة الامريكية ضمن برنامجين اعلنهما وزير الخارجية كولن باول يوم 8 آذار (مارس) 2004، وهما مبادرة الديمقراطية النسائية العراقية والشبكة النسائية الأمريكية ـ العراقية.

وتدعم المؤسسة للدفاع عن الديمقراطيات بقوة عمل المعهد العراقي الذي أسسه باسل الرحيم وكنعان مكية ورند رحيم فرانكي، ومن مدرائه برهم صالح، في واشنطن عام 1991 وحصل على منحة مادية من المحافظين الجدد. والمعروف ان باسل الرحيم هو مدير شبكة مصارف مارجنت بريدج النشطة في اسواق الشرق الاوسط وقد تم تعيينه كمستشار في وزارة الصناعة العراقية في عام 2004 في مجال خصخصة القطاع العام. وقد التقى مكية وفرانكي بيوش، قبل أيام من غزو العراق. وعندما سألهما بوش عن كيفية استقبال العراقيين للمحتل اجابه مكية بان الشعب العراقي سيستقبله بالزهور والحلوى. وحصل المعهد على منحة تقارب المليوني دولار لعام 2001 ومليون لعام 2000 والالاف للسنوات السابقة. ويقوم المعهد بنشاطات فعالة ضمن (الائتلاف الامريكي ـ العراقي للحرية) من ناحية الترويج لنجاح (الديمقراطية) خاصة في الاوقات السابقة للانتخابات.

وتتمتع المؤسسة بعلاقة وثيقة بوزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين اللتين طلبتا منها تدريب وفود قيادية في المجتمع المدني العراقي في مجالي الاعلام والديمقراطية خلال عامي 2004 و2005. وشمل البرنامج تدريب (القياديات العراقيات) لمدة عام كامل على مفاهيم (الديمقراطية الامريكية) والاشراف على مؤسسة المرأة العراقية التعليمية لصاحبتها زينب السويج.

كما جلبت المؤسسة عددا من رؤساء منظمات المجتمع المدني العراقي الى امريكا في صيف وخريف 2004، اي قبل الانتخابات الامريكية، ليتحدثوا عن مآسيهم تحت النظام السابق وليعلنوا تقديرهم لما قامت به امريكا من اجلهم. فتم نقل اعضاء الوفد المتنين للحديث في 20 مدينة امريكية وزاروا القواعد العسكرية والتقوا بعائلات الجنود (المقاتلين) في العراق. واجروا أكثر من 500 مقابلة تلفزيونية واذاعية وصحافية لتزكية سياسة بوش ومنح الاحتلال المصداقة المطلوبة.

وتقوم المؤسسة بتنظيم الحملات الاعلامية المتزامنة مع جدول الاحتلال السياسي داخل العراق. حيث دعت زينب السويج وباسمة فخري من منظمة (وافدي) للحديث عن حقوق المرأة في الدستور. كما وفرت المؤسسة الدعم لمؤتمر عن كتابة الدستور اقامه المعهد العراقي للدراسات الاستراتيجية لصاحبه فالح عبد الجبار في لندن.

وتحتفي المؤسسة حاليا بآخر وليد لها، اطلقت عليه اسم مركز معلومات الديمقراطية العراقية. وهو موقع الكتروني يصدر بعدة لغات لتوفير المعلومات للمنظمات الناشطة في مجالي (الديمقراطية وحقوق الانسان). واهم انجازاته لعام 2005 هو نشر (أوراق ديمقراطية) عن مختلف (النجاحات الديمقراطية) في العراق. وبالاضافة الى اسماء المحررين الامريكيين والعراقيين المعروفين ضمن المؤسسة الصهيونية الام مثل وليد فارس وتانيا كلي وزينب السويج ظهرت على موقع الوليد الجديد اسماء عدد من العراقيين كمستشارين ومن بينهم حسن مينمنه (من المعهد العراقي الذي غير اسمه الى معهد الذاكرة العراقية) ومنذر الفضل (مستشار رئيس وزراء حكومة اربيل) ومحمد فضل (منظمة اصدقاء الديمقراطية المستهدفة للطالب والمرأة بشكل خاص) بالاضافة الى رئيس المعهد العراقي للدراسات الاستراتيجية.

ان حبل الدعم المادي الذي يربط هذه المنظمات بالسياسة الامريكية والصهيونية أقوى من ان يقطع وهو بمثل سياسة الحرب على الارهاب التي شملت اعادة صياغة سياسة امريكا تجاه العالم كله، وبضمنها سياستها ازاء المنظمات غير الحكومية أي منظمات المجتمع المدني.

وكان كولن باول قد أكد ملامح السياسة (التبشيرية) عندما قال: (على المنظمات غير الحكومية ان تضحي مثلما يضحي جنودنا بحياتهم في خطوط جبهة الحرية الامامية. انها، بالنسبة الينا، قوة فاعلة. انها جزء مهم جدا من فيلق مواجهتنا العسكرية). ازاء هذا، هل هناك من يشك بان المنظمات المذكورة لا تزيد عن كونها فيالق عسكرية تحارب دفاعا عن السياسة والمصالح الامريكية وليس المواطن العراقي؟

* كاتبة من العراق

معاقبة الحرية

حكم البابا

■ ما يحدث على امتداد الوطن العربي منذ اغتيال الصحافيين سمير قصير وجبران تويني ومحاولة اغتيال مي شدياق في لبنان، وقتل الصحافي ضيف الغزال بعد خطفه في ليبيا، والتمثيل بجثة المراسلة التلفزيونية أطوار بهجت واغتيال صحافيين وأصحاب رأي آخرين في العراق، وصولاً إلى ذبح الصحافي السوداني محمد طه محمد أحمد، واحالة الصحافيين المصريين ابراهيم عيسى ووائل الأبراشي ومصطفى بكري إلى القضاء لمحاكمتهم تمهيداً لحبسهم، واعتقال الكاتب السوري ميشيل كيلو وزملائه لمجرد توقيع بيان، يعني أنه لم يعد هناك مكان للرأي الآخر على الأرض العربية، وأن القوى صاحبة النفوذ على الأرض سواء كانت سلطات دنيوية حاكمة (يمينية أو يسارية.. ثورية أم رجعية)، أو تنظيمات دينية طامحة للحكم، ورغم اختلافها في الأهداف والغايات والوسائل والمبادئ والشعارات، متفقة على أمر وحيد هو معاقبة الحرية، وتحويل أي مدافع عنها أو حالم بها أو طامح لها إلى أحد اثنين: ميت أو سجين!

فتحت اسم وشعارات الدين والوطن تجري حملة تكفير وتخوين لم يشهدها العالم العربي حتى في أشد عصور ظلامه، ففتاوى التكفير اليوم أصبحت تطلق على الشبهة، ولم يعد العقاب عليها بالقتل أو الذبح يحتاج إلى إثبات أو دليل أو شهود، أو الشق عن القلب لمعرفة النوايا، ولم تعد مقتصرة على الذين يجاهرون بالشرك بالله أو بإعلان الردة عن الاسلام، بل أصبحت تطال كل من يبدي رأياً في حادثة تاريخية أو يقدم اجتهاداً في تفصيل فقهي، بما في ذلك رجال الدين أنفسهم، بحيث لم يعد يمر شهر دون أن نسمع بأحدهم يكفّر شيخاً أو مذهباً أو تنظيماً، كما لو كان يصدر لمريديه أمر عمليات بقتله.

ومثلها دعاوى خيانة الأوطان لم تعد بحاجة إلى محاكمات وأدلة وإثبات أيضاً، فأي مقال رأي ينتقد سلطة أو حزباً في العالم العربي، قد يفقد كاتبه مواطنيته ويحوله إلى خائن، وأي بيان يدعو إلى الديمقراطية في بلد عربي، قد يودي بموقعيه إلى السجون وتلفق لهم تهم تبدأ بالارتباط بالسفارات الأجنبية ولاتنتهي عند حد العمالة للدول الاستعمارية، بحيث أصبح كل كاتب عربي مجبراً أن يضع ثوابته القومية والوطنية في بداية كل مقال يكتبه حتى لو كان موضوعه فقدان مادة استهلاكية من أسواق بلده، خوفاً من تخوينه، ويعيد التذكير في كل مقطع جديد ينتقل إليه في مقاله على أنه ضد السياسة الأمريكية ومعاد لاسرائيل ومؤيد للوحدة العربية ومناصر لتحرير فلسطين ومهتم بجلاء القوات الأمريكية عن العراق، ليستطيع أن يتحدث عن فقدان أعواد الثقاب في بلده!

وفي ظل هذا التدريب الانكشاري على تنميط الرأي العربي وقولبته، وإلغاء العقل وتعطيل التفكير صار من المستحيل كتابة أي مقال ينتقد قضايا مثل مشكلة الحريات العامة وحقوق الانسان في سورية، وقضايا التوريث الرئاسي في مصر، والحكم الفردي عبر أكثر نماذجه وضوحاً في ليبيا، وإدارة حكومة حماس للأزمة الفلسطينية الداخلية، وسياسة حزب الله في الداخل اللبناني، من دون أن يوصم كاتبه بالخيانة العظمى، وبخدمة المشاريع الاستعمارية، ويعامل باعتباره عدواً داخلياً يشكل رأس حربة للعدو الخارجي، وكأن هذه الجهات تحتكر الوطنية وقد نزهها الله عن الأخطاء، في حين أن من يبدي رأياً أو يعترض على سلوك غارق في الخيانة والخطايا.

ما أبأس العالم العربي اليوم حين ينظر إلى قادة رأيه ومثقفيه وكتابه وصحفييه كخونة محتملين أو ككفرة مؤجلين، تكفي أي صاحب قوة أو نفوذ على الأرض العربية (سلطةً أو حزباً أو تنظيماً) كلمة واحدة ليحولهم إلى موتى أو سجناء!

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364